سلسلة توعية الشباب

الشباب والغزو الفكري والثقافي

مقاربة أولية ونوجهات استشرافية

تأليف : عبد السلام بشير الدويبي رئيس اللجنة الاستشارية العلمية لرعاية الشباب

يصدر هذا الكتاب ضمن سلسلة « كتاب توعية الشباب » عن الإدارة العامة للإعلام باللجنة الشعبية العامة للشباب والرياضة الجماهيرية

الشباب والغزو الفكري والثقافي

مقاربة أولية وتوجهات إستشرافية

عيسى يوسف الحويتي

تأليف/
عبد السلام بشير الدويبي
عضو هيئة التدريس بجامعة الفاتح
رئيس اللجنة الإستشارية العلمية لرعاية الشباب

سلسلة كتاب الشباب

إن إصدار سلسلة كتاب الشباب بصورة دوريه شهرياً ضرورة يفرضها بروز مشكلة تعدد الإتجاهات والتيارات الفكرية والإجتماعية بين الشباب في العصر الحديث ، ومشكلة اهتزاز إيمان الشباب بالقيم والمثل العليا علاوة على الإحساس بالحاجة الماسة الى هذه السلسلة في استكمال عملية التوجيه الجماعي للشباب وإضافة لما سبق الإشارة إليه يمكننا تخليص الهدف من إصدار هذه السلسلة في النقاط التالية : -

- ـ توثيق الصلة المهنية وتبادل الخبرات والآراء والمعلومات الفنية بين العاملين في ميدان رعاية الشباب .
- ـ التعريف بالإنجازات التي تحققت على أرض الواقع في قطاع الشباب والرياضة الجماهيرية .
- ـ تحقيق أهداف التربية الاجتماعية في مجال رعاية الشباب ، وتكوين شخصية ناضجة ومتكاملة للشباب ، وإتاحة الفرص المتكافئة أمامهم في مختلف مراحل النمو من خلال تنمية الاستعدادات والقدرات لمقابلة الاحتياجات الأساسية ووقايته من أسباب الانحراف وإدماجه في المجتمع ليتفاعل معه تفعلاً إيجابياً .
- ـ خدمة الاتجاهات الأساسية الثلاثة ـ الوقائية ـ الإنشائية والعلاجية التي تتكون منها برامج التربية الاجتماعية للشباب .
- ـ تغذية الدراسات والأبحاث التي تهتم بالاحتياجات الأساسية للشباب والتي تشمل مثلاً حاجة الشباب الى تأمين المستقبل من تعليم وعمل وتوجيه مهني وحاجته الى الزواج وقضية غلاء المهور وتشجيعه مادياً ومعنوياً، إضافة الى حاجة الشباب إلى مُثل يؤمن بها ، وحاجته إلى العناية وشغل أوقات الفراغ .

عباس أبو يوسف الشامي

تقديم

يأتي كتاب الشباب والغزو الفكري والثقافي ضمن سلسلة كتاب توعية الشباب ،التي تصدرها الإدارة العامة للإعلام باللجنة الشعبية العامة و الرياضة الجماهيرية .

و يتضمن هذا الكتاب موضوعاً بالغ الأهمية ، يتعلق بالتصدى لظاهرة الغزو الفكرى و الثقافي لشبابنا و انعكاسات هذا الغزو .و ذلك بهدف اشعار الشباب و القائمين على رعايتهم و تربيتهم بأهمية و خطورة هذه الظاهرة ،و بدل كافة الجهود لتحصين عقول شبابنا ذكوراً و اناثاً من مظاهر هذا الغزو و نتاجاته.و تسجل اللجنة الشعبية العامة للشباب و الرياضة الجماهيرية و الإدارة العامة للإعلام بها شكرها للدكتور/عبدالسلام الدويبي على استجابة للكتابة فى هذاالموضوع ، خاصة وأنة قد عالج مثل هذه القضايا على صفحات صحفية الشباب و الرياضة الجماهيرية و كذلك تسجل شكرها للكل من أسهم فى تنفيد هذه السلسة الثقافية العلمية كرسالة للتوعية و الترشيد لكل ماهو مفيد و إيجابي والتنيه إلى كل ما هو ضار وخطير لشبابنا عماد المجتمع ودعامته .

اللجنة الشعبية العامة

للشباب والرياضة الجماهيرية

﴿المحتويات﴾

1 _ تمهيد .

2 _ تحديد مفهوم الغزو الفكري والثقافي.

3 _ الغزو الفكري والثقافي للشباب وظاهرة العولمة.

4 _ الغزو الفكري والثقافي للشباب في إطار علاقة التأثر والتأثير.

5 – خصائص الغزو الفكري والثقافي .

6 – نحو تحديد أبعاد مشكلة الغزو الفكري والثقافي .

7 – الغزو الثقافي ومفهوم الهوية .

8 – نحو مقاربة أسباب المشكلة .

9 – نتاجات الغزو الفكري والثقافي .

10 – خاتمة .

11 – خاتمة المراجع .

الشباب والغزو الفكري والثقافي

تمهيد

تثير مسألة الغزو الفكري والثقافي موضوعاً بالغ الأهمية يتعلق بالهوية والأصالة ، وفي اطارها تطرح عدة تساؤلات ، بعضها يهدف إلى محاولة التأكد من أمكانية تواصل الهويات وسيرورتها عبر الزمان والمكان وتمايزها عن بقية الهويات ، ثم مقدرتها على الصمود والتحدي للمستجدات والمتغيرات المتفاعلة في المواقف غير المتكافئة . وبعضها يهدف إلى أن يثير بتساؤلاته الاهتمام بخطورة المسألة من حيث إختراق الهويات ، ومن حيث غزو الإنسان من الداخل ، ليكون إنساناً مقهوراً في هويته تابعاً في مواقفه واتجاهاته وقيمه هامشياً في دوره وعلاقاته .

إن التدفق المكثف للمعلومات من جانب واحد قد جعل مقاربة موضوع الغزو الثقافي للإنسان العربي عموماً ، وللشباب العربي على وجه الخصوص ، مسألة صعبة ومركبة من جهة وإشكالية من جهة أخرى ، إنها كذلك لأن هذا التدفق يعبر عن استراتيجية ذات حدين ، فهي في حدها الأول تهدف إلى إتاحة الفرصة إلى جميع الدول والأفراد للحصول على المعلومات والأخبار من أجل توظيفها في التنمية البشرية المستدامة ، وهي من جهة أخرى أو في حدها الثاني تهدف كما قال د . (آرمانكيكار) الرئيس الأسبق لتجمع وكالات الأنباء للدول غير المنحازة إلى السيطرة الإعلامية الشاملة التي تعمل كأداة في أيدي الأقوياء للتغلغل في ثقافات الضعفاء وثلويتها .

والغزو الفكري الثقافي لايستهدف الشباب وحسب بل يستهدف الجميع صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً . كما أنه ليس كأي غزو تقليدي لجيوش نظامية تستولي أو تغزوا شعوباً ودولاً أخرى . إنه غزو من نوع خاص تغيب فيه الجيوش التقليدية والجنود التقليديون ليحل محلهم تقنيات التواصل الحديثة ، والتي تتطور بمعدلات غاية في السرعة ، وتحول العالم كله إلى قرية صغيرة وانتهي تبعاً لذلك حساب الزمان والمكان لنقل الخبر والمعلومة .

إن استخدام الأقمار الصناعية في البث الإذاعي والإتصالات عموماً قد اخترق كل الحدود ، واقتحم كل البيوت دون استئذانها ، بل وبرغبة من أفرادها المتلقين للمادة الإعلامية .

وكذلك كان الشأن بالنسبة لشبكات المعلومات (الإنترنت) والبريد المصور (فاكس) والهاتف النقال وغيرها ، وهي كلها أسلحة من نوع خاص قد تخترق عقل الإنسان وتعبث بمواقفه واتجاهاته وقيمه ، وبالتالي هويته الثقافية بشكل عام .

وهكذا فان الشباب في مجتمعنا هذا ، شأنه شأن بقية أفراد المجتمع يواجهه خطر داهم ، يستهدف هويته الثقافية ، وبالتالي انتماءاته وولاءاته ، وأن هذا الخطر قد زاد حدة وضراوة بعد التطور الهائل في مراكز الإنتاج والتوزيع والبث الثقافي التي باتت تلعب دوراً فاق الدور الذي تلعبه القواعد العسكرية الأجنبية ، وذلك لما توفر لهذه المراكز من إمكانات ضخمة ، ولبروز الحاجة لدى الإنسان العربي لبرامج إعلامية تثقيفية وترويحية وسواها بشكل يومي مكثف . ومن هنا يمكن القول مع الأستاذ (مسعود ظاهر) (1983:66) إن ما عجزت الإمبريالية العسكرية عن تحقيقه قد لاتعجز الإمبريالية الثقافية عن الوصول اليه أو التمهيد له بشتى الأساليب .

إن التعامل مع مسألة الغزو الفكري والثقافي التي يتعرض لها شبابنا اليوم يقتضي دون ريب إيجاد استراتيجية متعددة الأبعاد ، وكذلك النظر إلى المشكلة في إطار القوى التي أنتجتها وروجتها ودافعت عنها واستفادت أو ربحت من ورائها ، وذلك في ظل موقف عربي إسلامي موحد ومدرك لأبعاد المشكلة ومتطلبات مواجهتها .

وتجرى المحاولة لتسليط الضوء على مشكلة الغزو الفكري والثقافي للإنسان العربي عموما والشباب على وجه الخصوص . وقد تم فيها مقاربة مشكلة الغزو الثقافي كمشكلة تواجه العرب وتهدد كيانهم ووجودهم ، وكذلك ربط موضوع الغزو الثقافي بموضوع الهوية العربية ، وتسليط الضوء بشكل سريع على أسباب المشكلة ونتاجات الغزو الفكري والثقافي للوطن العربي .

حول تحديد مفهوم الغزو الفكري والثقافي :-

ليس من السهل الوصول إلى تحديد جامع مانع ا لمفهوم الغزو في علاقته بالفكر والثقافة ، وذلك لتشعب الدلالات واختلاف الآثار وتعارض بعض وجهات النظر حول ربط مايحدث في فكر الشباب وثقافته بمفهوم الغزو .

وفى كل الأحوال يمكن الإشارة إلى أهم تعريفات الغزو وربطها بالفكر والثقافة وذلك *على النحو التالي :-*

1- ورد في مختار القاموس أن كلمة غزو وغزاه - غزواً تعنى أراده وطلبه وقصده ، وغزا العدو سار إلى قتالهم . وفى مختار الصحاح وردت كلمة غزو بمعنى هاجم العدو .

وجاء في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أن الغزو إنما يكون للعدو في بلاده.

2 - يعرف الغزو الفكري والثقافي بأنه اختراق لعقلية الإنسان والتأثير على فكره ومعتقده واتجاهه وقيمه بحيث ينسلخ عن أصالته وعن قيمه وليعتنق فكر وثقافة العدو .

3- يربط الغزو الفكري والثقافي بالإستلاب الحضاري .

4- يشير عبد الرحمن إبن خلدون في مقدمته إلى أن المغلوب يقتدي بالغالب ، والغلبة هنا ليست فقط في مجال الحرب والوغى بل وأيضاً في مجال الفكر والثقافة والملبس والسلوك.

5- يرى بعض المختصين أن الغزو الفكري والثقافي يعبر عن إبدال وإحلال ، بمعنى إبدال الأفكار والموروث الثقافي الأصيل وإحلال أفكار وعناصر ثقافية وافدة أو مخترقة أو غازية.

6- يشير الأستاذ / حسين حمادة في بحثه حول (حتمية انهيار الحركات السرية الدولية الهدامة) إلى أن تفريغ عقول الشباب وإلهائها بنشاطات سياحية ترفيهية تشغلهم عن قضاياهم المصيرية ، وتسلخهم عن واقعهم هي من صميم دلالات الغزو الفكري والثقافي .

7- يمثل الغزو الفكري والثقافي نوعاً من اشغال الشباب بقضايا وقناعات هامشية بهدف إبعاده عن واقعه المعاش وتقليص دوره الإيجابي الفاعل ، وتهميشه عن سيرورة الحياة والتنمية المستدامة .

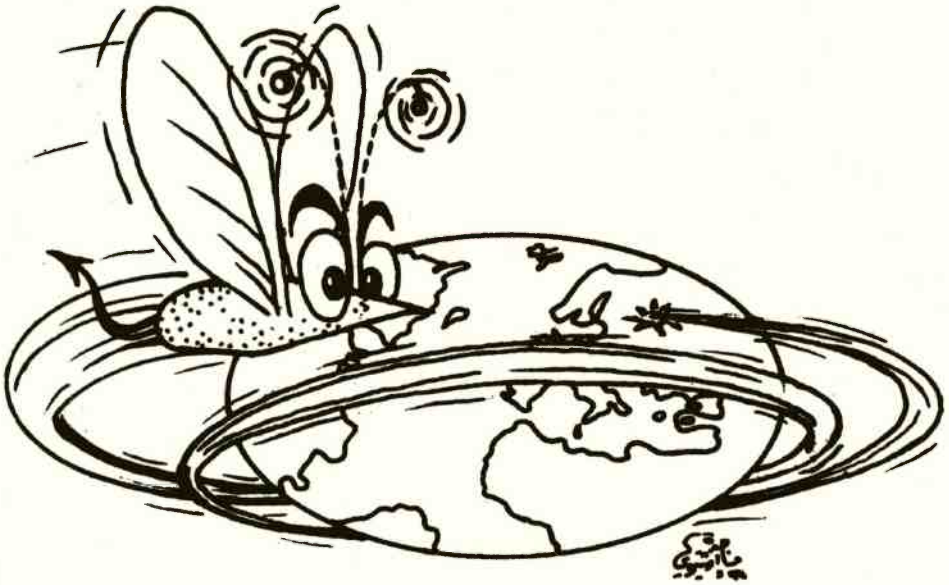

8 - يشير الأستاذ/ مانكيكار فى بحثه حول (التدفق الحر للمعلومات من جانب واحد) إلى أن الغزو الفكري والثقافي يقترب في مفهوم دلالاته من التغلغل في ثقافات وعقول الضعفاء وتلويثها .

إنه غزو يستخدم أسلحة اشد فتكاً من أسلحة الحروب التقليدية إنه يدخل البيوت نازلاً من السماء .

9- وينظر البعض للغزو الفكري و الثقافي في دلالاته على الإختراق المنظم والمنحاز والهادف وغير المتوازن لعقليات وثقافات الشعوب ، ويسى بالتالي إلى أصالتها وقيمها وتوجهاتها.

وهذا الأمر هو الذي دعا أحمد مختار إمبو المدير العام لمنظمة اليونيسكو إلى القول في خطابه أمام مؤتمر اليونيسكو في سان خوسيه ، بأن لدى الكثيرين شعور بأن استمرار الموقف على هذا النحو لابد وأن يعيق التفاهم الدولي ، ويحول نتيجة لذلك دون الحفاظ على السلام والإنسجام بين الدول .

10- حدد المؤتمر الدولي الذي عقد فى سرى لانكا في عام 1976 ف الغزو الفكري والثقافي بأنه ((يمثل في دلالاته ومفهومه نوعاً من انعدام التوازن في تدفق المعلومات)) وحدد ملامح هذا الخلل كمؤثر على حدوث الغزو الفكري والثقافي في ***الآتي*** :-

أ- احتكار تزويد الدول بالمعلومات والأخبار من قبل شركات المعلومات ووكالات الأنباء العالمية .

ب-تشويه المعلومات والحقائق التي تبث عبر وسائط التواصل الإعلامي .

ج-فرض قيم وثقافات غريبة وغير ملائمة .

د -تنمية الإحساس لدى الشعوب بالدونية والتخلف .

11- وصف الرئيس الفنلندي (أورهوكيكونين) التدفق الإعلامي للمعلومات من جانب واحد وبصورته الحالية غير المتوازنة بأنه (إمبريالية إعلامية) .

هذه اذاً مقاربة لتحديد مفهوم ودلالة الغزو الفكري والثقافي للشباب وذلك لتقريب الصورة والتنبيه للخطورة .

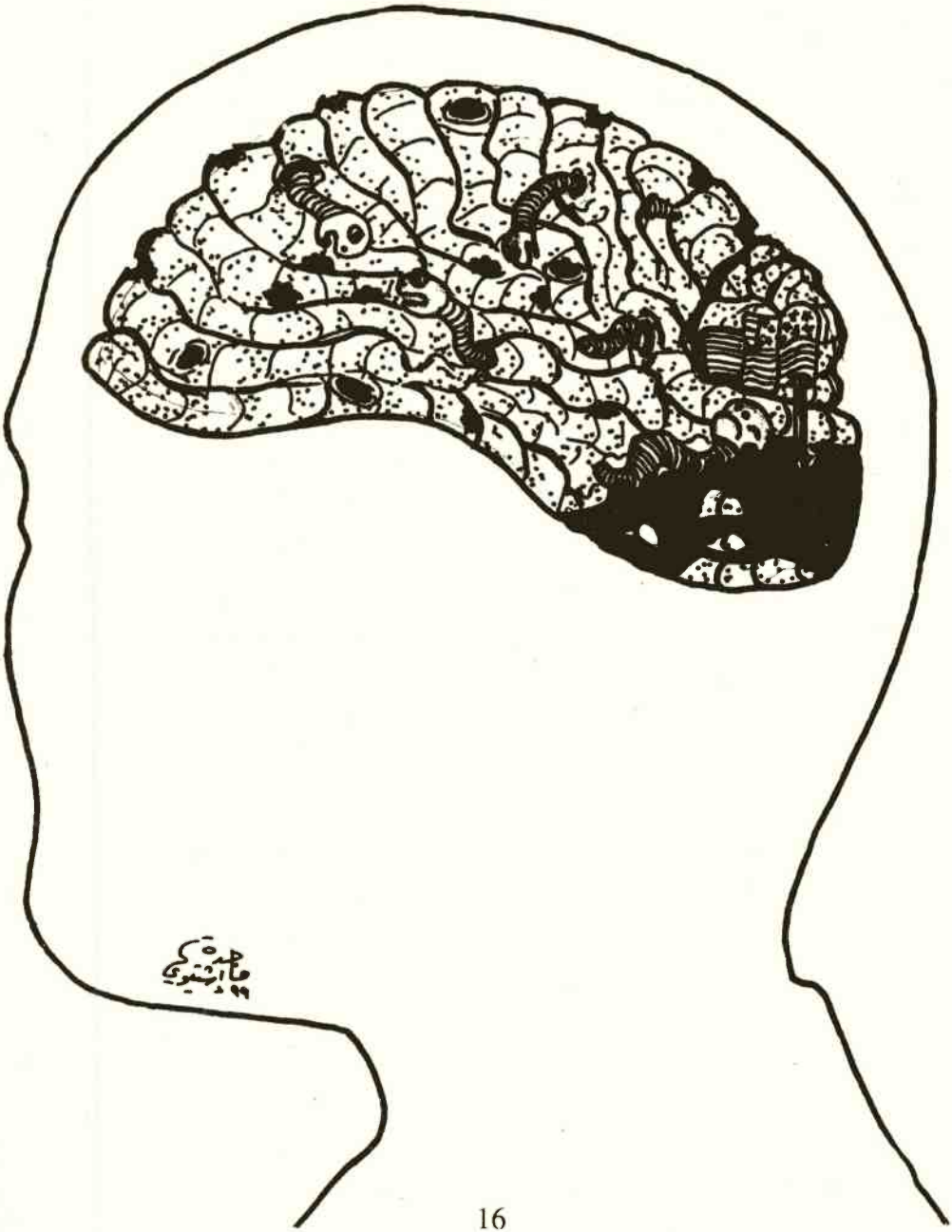

الغزو الفكري والثقافي وظاهرة العولمة :

إن مقاربة موضوع العولمة تجعلنا نقف وُجهاً لوجه أمام ظاهرة غزو فكرى وثقافي متميز وجارف يتستر وراء طروحات فكرية لايؤيدها الواقع ولايقبلها التنوع الثقافي لشعوب العالم قاطبة ، ويدعى أنصار العولمة وجود ثقافة عالمية هي التي ينبغي أن تسود العالم .

في إطار التعامل مع هذا التوجه يمكن إثبات بطلانه من حيث الإنطلاق من تعريف الثقافة التي هي ((ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد والأعراف والقيم والفنون والآداب وكل ما صنعته يد الإنسان وعقله في مجتمع ما)) أو هي كما يشير د. (*محمد عابد الجابري*) : هي ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية ، سواء كانت أمة او ما في حكمها بهويتها الحضارية ، وهى بهذا تعبر عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم .

ويقود هذا التعريف للثقافة إلى القول بعدم صدق مقولة وجود ثقافة عالمية واحدة وهى غير ممكنة الحدوث في المستقبل ، ولم يسبق لها أن وجدت في الماضي ، ولايمكن لها أن تتجسد في الحاضر وهكذا فإن الخصوصية الثقافية لمجتمع ما باعتبارها مستهدفة بفعاليات الغزو الفكري والثقافي ، تدخل في مواجهة من نوع ما مع ثقافات أخرى غازية أو متحدية أو مبهرة .

فالعولمة في ابسط دلالاتها وكما يراها د. (*محمد عابد الجابرى*) نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد لتشمل الإتصالات والسياسة والثقافة والفكر .وهى في مدلولها اللغوي تعنى التعميم من المحلى إلى العالمي برمته ، وهى في دلالاتها السياسية وفقاً لما جاء في بحث العولمة والهوية الثقافية للجابرى تعنى العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هي الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع ، وهى بهذا أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته (جَعله أمريكياً) .

وتوظف العولمة (1)وسائل مناظرة للغزو الفكري والإختراق الثقافي ، كالسيطرة على السوق

---

(1) انظر بحث العولمة والهوية الثقافية لأستاذ محمد الجابرى

سوق العولمة الامريكي

العالمية من أجل إخلال توازن الدول والشعوب واضطراب نظمها الخاصة بالحماية الإجتماعية ، وتطبيق سياسة البقاء للأصلح وللأقوى التي نادى بها دارون . بمعنى أن الشعوب التي ليس لها القدرة على الصمود والمنافسة ينبغي أن تتلاشى أو تزول ، ولأنها لاتملك السيطرة على وسائط المعلومات والإعلام وتوظيف وسائل الاتصال الإلكترونية المتطورة وهكذا أو كما يقول الجابرى : فبدلاً من الحدود الثقافية الوطنية والقومية تطرح أيديولوجيا العولمة حدوداً أخرى غير مرئية ، ترسمها الشبكات المعلوماتية العالمية قصد الهيمنة على الاقتصاد والأدوات والفكر والسلوك)) والعولمة شي مختلف عن العالمية ، فالعالمية تعنى التفتح على العالم وعلى ثقافات الشعوب وخصوصيتها الحضارية ، مع الاحتفاظ بالهوّية الثقافية والخصوصية الأيديولوجية ، أمّا العولمة فهي نفي قطعي لما عداها وإباحة للإختراق الثقافي .

هكذا تشير العولمة في مقاربة موضوع الغزو الفكري والثقافي للشباب الى الهيمنة والسيطرة ونفى الخصوصية الثقافية . في زمن العولمة تزيد آليات الاختراق الفكري والثقافي خطورة وضراوة حيث توظف وسائط الإعلام خاصة الإلكترونية المتطورة الصوت والصورة التى تقود إلى تهميش الفكر وإقصاء الخصوصية الثقافية ، وجعل الوعي تافها أو هامشيا أو سطحيا . وبالسيطرة على الإدراك وتسطيحه وتهميشه يتم إخضاع العقول وإرباك نسق القيم وتنميط الحس والذوق والسلوك .

وتحاول عمليات الاختراق الفكري والثقافي في إطار آليات الغزو الفكري والثقافي ترسيخ مبدأ الفردية ، بمعنى أن تركيز الإنسان كفرد لا يكون الا لتحقيق مصالحه فقط ، وأن وجوده محصور في ذاتيته أو فرديته ، وأن كل ما عداه لايعنيه بل قد يتجه لاستغلاله أو توظيفه لصالحه . إن هذا التوجه الفكري والثقافي الذى تحاول العولمة تمريره يؤدي دون ريب إلى تخريب بنى المجتمع ، واضطراب وظائفه وإلغاء الترابط والتكامل الاجتماعي. وهنا يتم تكريس الأنانية على حساب الرابطة الاجتماعية ، ويرتبط بتوجهات العولمة رفض كل التزام فكري أو عقائدي بقضية ما ، ومن هنا وجدت مفاهيم اللامبالاة *(أنا لا أهتم) (راك تعدّل)* .. إلخ . وعلى بعد القومية واختراقها في صلب كيانها أي في ثقافتها يشير أحد الباحثين (1) إلى أن الأوضاع الثقافية للإنسان العربي مهددة بالكثير من الأخطار والتى يأتي في مقدمتها الغزو الثقافي المكثف عن طريف وسائل النشر والإعلام الأجنبية المختلفة .

---

(1) انظر احمد أبوزيد: رسائل التخطيط الثقافي ، مختارات فى التربية والعلوم والثقافة ، لجنة البحرين الوطنية للتربية والعلوم والثقافة، العدد 11 – يوليو 1990 – ص 30 .

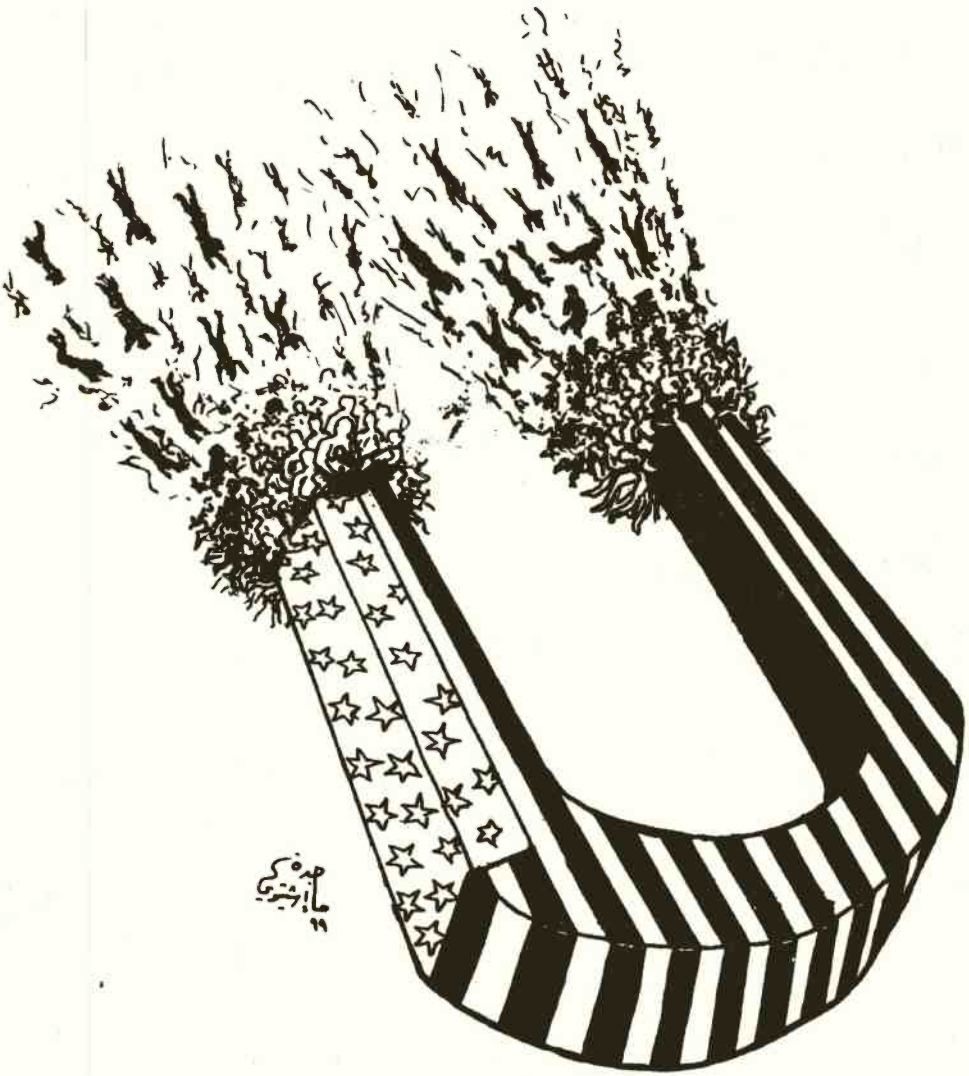

هكذا إذاً تتزايد حملات الإختراق الثقافي ، واستلاب عقول البشر عموماً والشباب على وجه الخصوص في إطار مايُعرف ببريق العولمة والحداثة .

الغزو الفكري والثقافي للشباب في إطار علاقة التأثر والتأثير :-

يعبّر التأثير الفكري والثقافي عن نواتج التواصل بين الشباب ، وبين مصادر المعلومة وقنوات التواصل في شكلها المباشر ، أو عبر تقنيات التواصل المرئي والمسموع والمقروء .

ويمكن النظر الى عملية التأثير الإجتماعي في عقول الشباب من خلال الدلالات *التالية لعلاقة التأثير والتأثر وذلك على النحو التالي :=*

1) يشير التأثير الاجتماعي في مضامينه الفكرية والثقافية ، إلى الإستجابة الفعلية أو الضمنية من قبل فرد أو جماعة ما لسلوك وتصرفات واتجاهات ومعتقدات وقيم فرد أو جماعة أخرى . فعندما لايكون الشاب محصناً ضد مظاهر التأثير كما يجسدها الإختراق الفكري والثقافي ، تزداد احتمالات قبوله للأفكار والآراء والمكونات الثقافية الغازية .

2) يعبر التأثير الاجتماعي عن وجود أو حدوث نوع من التغيير والتعديل في سلوك ومعتقدات واتجاهات ، الشباب مما قد يؤدي الى تغريبهم وتهميشهم والسيطرة عليهم .

3) يحمل مفهوم التأثير على عقول الشباب معنى الإختراق والتطبيع والتطويع ، وفرض المعتقدات والآراء الجديدة والوافدة أو الغازية .

4) يشير التأثير الفكري والثقافي على الشباب إلى وجود نوع من الصراع أو التقابل بين خصوصية التمايز الفكري والثقافي وانتمائه لفكر وثقافة معينة ، وبين ماهو وافد أو دخيل .

5) يُعرف التأثير الإجتماعي بأنه نوع من توجيه سلوك الفرد أو الشاب ليتوافق ويتواءم مع المواقف الإجتماعية المختلفة .

6) يشير التأثير على أفكار الشباب وثقافتهم إلى مقدار مايحدث لهم من تغيير وتعديل في سلوكهم ومعتقداتهم بفعل آليات الغزو الفكري والثقافي ووسائطه .

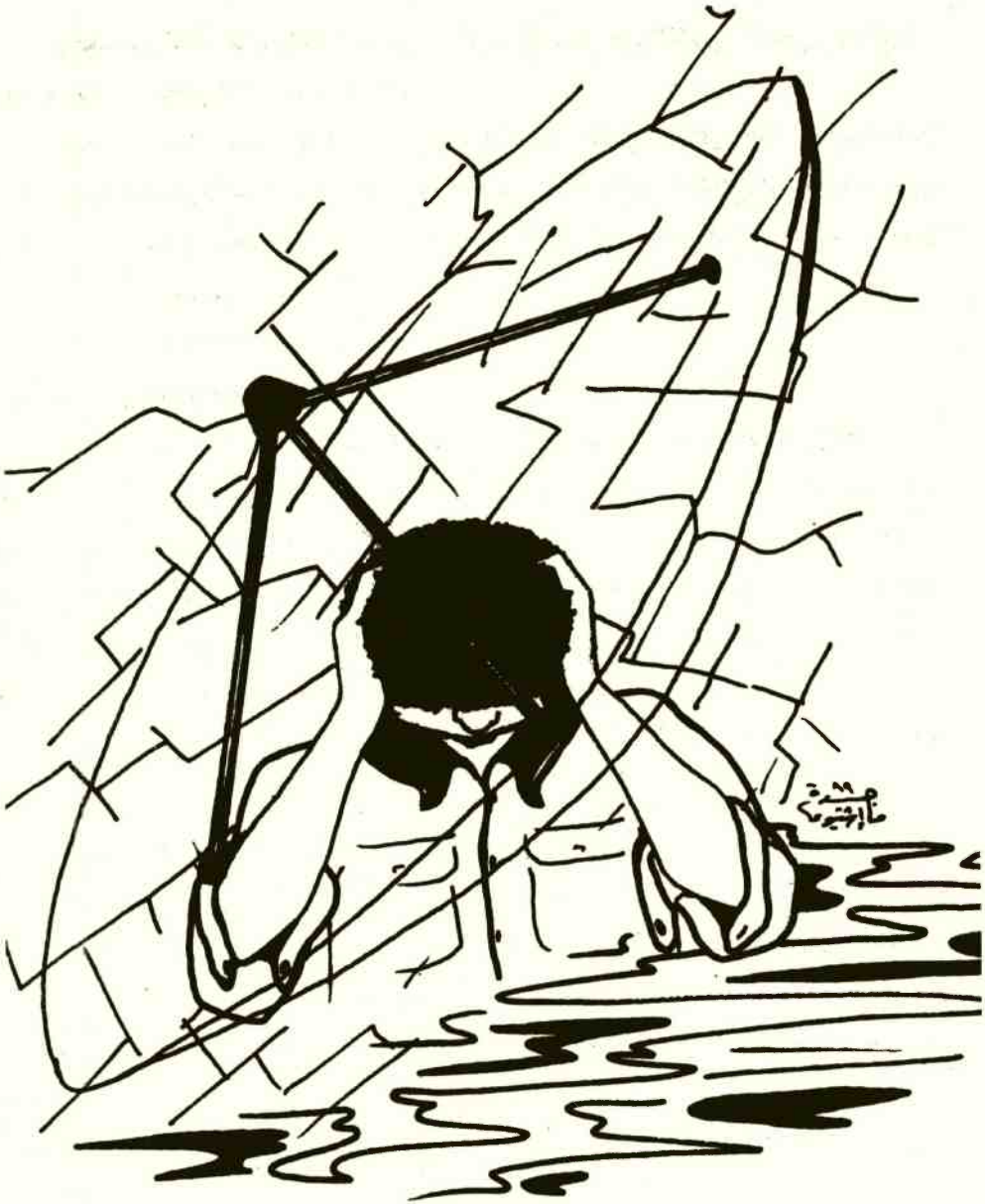

وهكذا فإن علاقة التأثير والتأثر لاتنفصل عن آليات ووسائط الغزو الفكري والثقافي ، والتي يتم بموجبها اختراق المجال الفكري والثقافي للشباب .

ويتأكد من خلال عملية التأثير والتأثر في علاقتها بالغزو الفكري والثقافي أهمية تحصين عقول الشباب ، بما يمكنهم من التصدي والصمود في وجه هجمات الغزو الفكري والثقافي في عصر التواصل ، عبر الأقمار الصناعية وشبكات الإنترنت والنداءات الخداعة للعولمة والنظام العالمي الجديد ، الذي يسعى لإلغاء أصالة الشعوب وخصوصيتها الثقافية .

كيفية حدوث التأثير:

يعد التعرف على كيفية حدوث التأثير على عقول الشباب من الأمور المهمة ، أولا في التنبه لخطورة آليات التواصل ووسائط الإعلام المختلفة في محاولاتها للتأثير على عقول الناس وثقافتهم ، وثانياً في كونه يساعد على العمل المضاد لكل محاولات الغزو الفكري والثقافي للشباب . ويحدث التأثير بدرجات مختلفة ومتفاوتة عند استجابة الشباب لرسالة أو اتصال ، يكون في شكل سلوك أو دعوة أو فكرة أو طلب أو سؤال من قبل طرف يسمى المرسل ، وذلك إما بشكل مباشر أو غير مباشر ، وتمثل بداية حدوث التأثير في الاستجابة ايا كان نوعها .

ويحدث التأثير على عقول الشباب وغيرهم وعلى أفكارهم ومعتقداتهم من خلال أربعة عناصر أساسية هي :-

اولاً :- مصدر التأثير:

في عملية الغزو الفكري والثقافي كعامل من عوامل التأثير على أفكار الشباب وقيمهم واتجاهاتهم ،لابد من وجود مصدر أو فاعل ، لأن عملية الغزو الفكري والثقافي لاتحدث من فراغ بل تحدث وفقاً لمصدر له غاية الإختراق وإرادة الغزو الفكري والثقافي ، فالمحطات الفضائية الموجهة ووسائط التواصل الجماهيرية كالصحف والمجلات والإعلانات وبث الشائعات وعمليات غسيل المخ وغيرها كلها مصادر للتأثير.

وتلعب وكالات الأنباء ومحطات التواصل عبر الأقمار الصناعية دوراً مهماً في الترويج للأفكار الهدامة وحملات المسخ الثقافي وغيرها .

وبقدر ماتتوفر القدرة في مصدر التأثير وبقدر ماتتوفر له الإمكانيات ، بقدر ماتكون قوة أبعاد التأثير على المستويين الفكري والثقافي ، وهكذا فإن التصدي لحملات الغزو الفكري والثقافي لشبابنا يقتضي الأخذ في الاعتبار هذا المصدر وطبيعته ونوعيته وأهدافه ومضامين رسالته .

إن التعرف الواعي على مصدر التأثير يساعد دون ريب في دراسته وفهم سلوك الأفراد . كما يتأثرون بهذا أو ذاك من مصادر التأثير ، بحيث أن مصدر التأثير يسهم دون ريب في إزالة الإستغراب والحيرة ، حول ظهور بعض السلوكيات والمعتقدات والأفكار المتطرفة أو الهدامة أو سواها .

ثانيا :- الإتصال

يعد الإتصال السلاح الأهم في حملات الغزو الفكري والثقافي ، بحيث لاتؤدي هذه الحملات مفعولها في حدوث عملية الغزو هذه ما لم يكن هناك اتصال ، أياً كان نوع هذا الإتصال . ويحدث الإتصال في علاقة التأثير والتأثر بين مصدر التأثير وبين الشباب المتأثرين والمستهدفين به ، عبر عدة وسائط أو قنوات التي تختلف فيما بينها من حيث القوة والضعف ، ومن حيث السهولة والصعوبة ، ومن حيث الفاعلية ، ولقد تطورت وسائط الإتصال للدرجة التي أصبح بالإمكان الوصول الى أي شخص في أي مكان ، وقد زاد تبعاً لذلك قوة وفاعلية التأثير وخطورته ، فالتواصل عبر المحطات الفضائية والبريد المصور والإنترنيت والهواتف النقالة وغيرها من وسائط نقل الصوت والصورة ، وكذلك سرعة انتقال الأفراد بين المجتمعات ، بثقافتهم المختلفة قد زاد من خطورة حملات الغزو الفكري والثقافي للكثير من المجتمعات وأصبح الشباب هدفا مهما لهذا الغزو .

وتعتبر عملية الاتصال من العمليات ذات الطبيعة النفسية الإجتماعية والمادية . ويتميز الاتصال في علاقة التأثير الاجتماعي على الأبعاد الفكرية والثقافية لشخصية الشباب بعدة خصائص منها :-

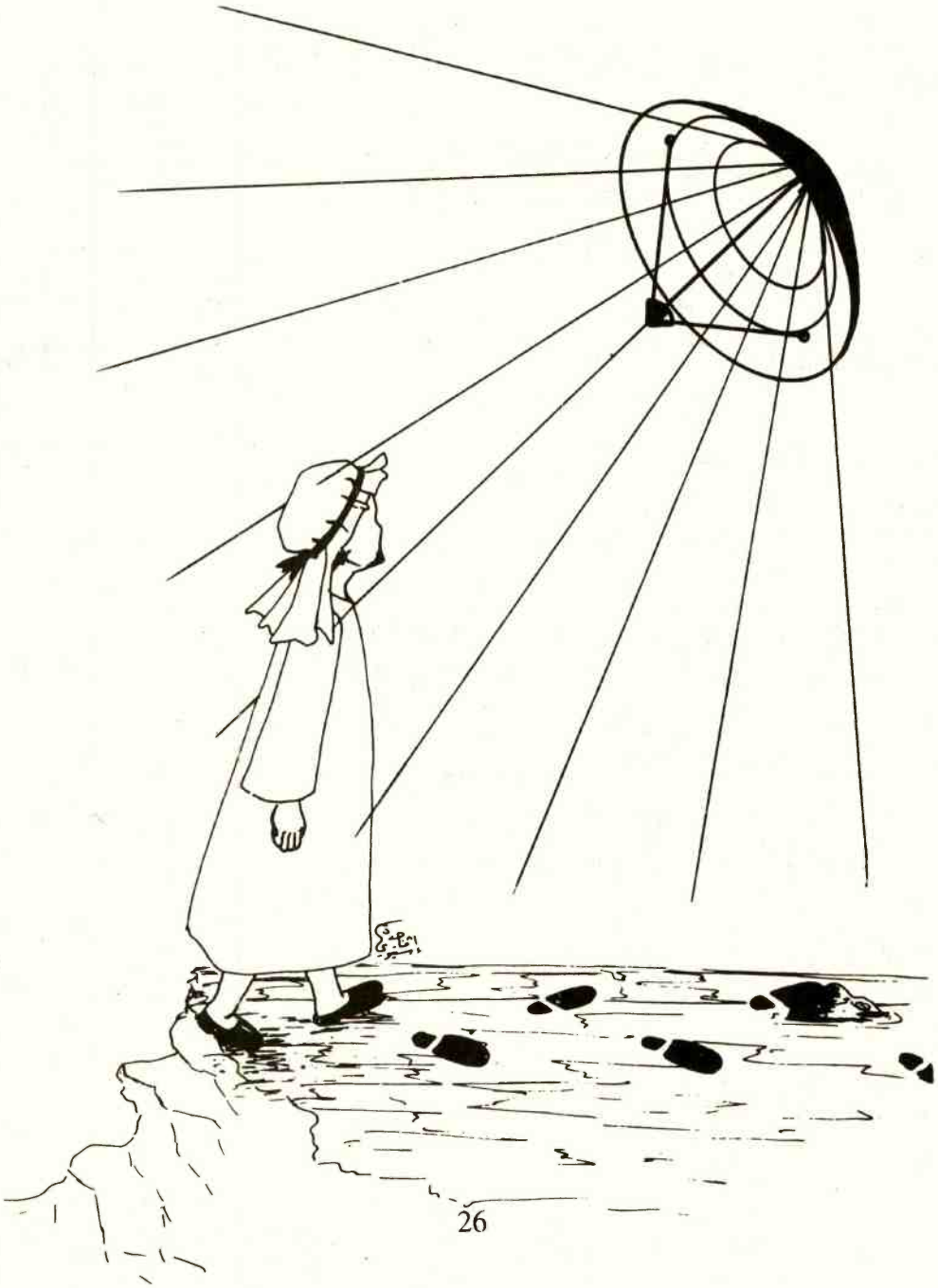

1 – يدل الإتصال على وجود حاجة إجماعية ونفسية للفرد والجماعة ، باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه .

2– يعنى الإتصال وجود نوع من الهدف ، وهذا الهدف قد يكون معلناً أو خفياً بين طرفي الاتصال ((*المرسل – المستقبل*)) وقد يكون الإتصال بمحض الصدفة .

3 – الإتصال هو أساس العمليات الإجتماعية كالصراع والتنافس والمواءمة والتعاون وغيرها .

4 – يحدث الإتصال في عمليات التأثير ، وبالتالي حدوث الغزو الفكري والثقافي وفق نسق من التنظيم الرمزي للمفاهيم والكلمات والمصطلحات المستخدمة ، ويسعى مصدر التأثير من خلال عملية الاتصال إلى إستثارة إ نتباه المستهدفين وتشويقهم وإبهارهم واستفزازهم وتحديهم .

فالمحطات الفضائية مثلاً خاصة منها ما تهدف الى اختراق أفكار الشباب وتشويهها ونشر الأفكار المظللة الهدامة بينهم . توظف العديد من الأساليب في عملية نقل الأفكار وتأكيدها في ذهن المشاهد عن طريق إثارة انتباههم ، والتشكيك في أفكارهم ومعتقداتهم الأصلية والدعاية للأفكار الموجهة والمفروضة ، لتحل محل الأفكار الإيجابية وتستبدل التواصل الثقافي مع مجتمعاتهم بثقافات هجينة .

ثالثاً :- الطرف المتأثر .

يعرف الإنسان الذي يستقبل الرسالة الموجهة من مصدر التأثير عبر وسائل الإتصال بأنه الطرف المتأثر ، الذي هو مطالب بتلقي الرسالة التي تنقل إليه عبر قنوات ووسائط الإتصال . كما يوضع هذا الشخص في موقف يحتم عليه الإستجابة التي غالباً ما تكون في إطار منظومة التوقعات الثقافية أو الموقفية أو الذاتية ، وتكون مرتبطة ومتأثرة بعدة أبعاد ، منها سن الطرف المتأثر وجنسه وحالته النفسية ووضعه الإجتماعي والإقتصادي ومستواه التعليمي ، وسعة قراءته وإطلاعه وخبراته وتجاربه الحياتية ، كذلك يكون لنوعية الإتصال ووقته ومحتواه ووسائله مصادره تأثير على استجابة الطرف المتأثر . فهناك على سبيل المثال أفراد يتأثرون بسرعة لنوع خاص من الإتصال ، وآخرون يتأثرون ببطء بنفس المصدر والنوع من الاتصال .

كما أن هناك أفراداً يستجيبون بكيفية متأنية وعقلانية ، بينما تكون استجابة البعض الأخر متعجلة وغير مرشدة أو طائشة . وهكذا يكون الإختلاف في القدرات الفعلية والجسمية والأوضاع الإجتماعية والتعليمية والإقتصادية وغيرها دوراً مهم في تحديد اختلاف استجابتهم للإتصال في عملية التأثير والتأثر .

إن الطرف المتأثر باعتباره هدفاً للغزو الفكري وللإختراق الثقافي ليس دائما وفى كل الأحوال هدفاً سهل المنال ، بل إنه هدف لديه القدرة على الإختيار والمفاضلة والتمييز وتقدير القيمة، بحيث لايمكن أن تكون عملية التأثير وما ينتج عنها من غزو واختراق لمعتقدات وأفكار وثقافة الطرف المستهدف ، كانطباع الصورة الفوتوغرافية على الورق الحساس ولا كانعكاس الصورة على المرآة ، بل يوجد هامش للتمحيص والتفكير والاختيار . وإن مسالة سلامة عقل وإدراك ونضج الشخص المتأثر وإرادته تحدد جميعها مساراته وفعاليات عملية التأثير وبالتالي نتاجات الغزو الفكري والثقافي .

رابعاً:- المحتوى الاجتماعي .

إن عمليات الغزو الفكري والثقافي للإنسان عموماً وللشباب على وجه الخصوص ، لاتحدث في فراغ ، بل لابدلها من محتوى فكرى إجتماعي وسياسي وإقتصادي ونفسي وسلوكي يتجذر من خلاله آليات الحرب المعنوية وفعاليات الغزو الفكري والثقافي .

خصائص الغزو الفكري والثقافي .

الغزو الفكري والثقافي هو اختراق للإنسان من الداخل ، فيه عبث وتلاعب بمخزونه المعرفي وإطاره المرجعي الذي هو ثقافته وأصالته .

ويجد الغزو الفكري والثقافي بيئته الخصبة في أوساط الشباب المهمشين والمنحرفين ، والمتسربين من التعليم والعاطلين عن العمل و المنسحبين من مجالات الإنتاج والمتواكلين ويوظف الغزو الفكري والإختراق الثقافي أسلحة من نوع خاص ، ظاهره الإثارة والتشويق والإبهار وباطنه فيه الويل والخسران المبين وهنا يشير الأستاذ / محمد سبيلا في بحثه حول (الشباب والأيديولوجيات) إلى أن ظهور ما يسمى بالمجتمع العالمي الواحد ، أو تحول العالم إلى قرية صغيرة قد يساعد في توفير المنتوجات الأيديولوجية القابلة للتوزيع على فئات الشباب المختلفة . فانتقال الأفكار والآراء والنظريات والتعليقات عبر أركان العالم ، وتداولها بسرعة فائقة بواسطة البث المرئي والكتب والمجلات وغيرها من المطبوعات ، قد ضاعف سوق المعروضات الثقافية والفكرية وأسهم في تنامي الإستقطاب الأيديولوجي للشباب وهذه إحدى أهم خصائص الغزو الفكري والثقافي في عصرنا الحاضر .

ويعتمد الغزو الفكري والثقافي للشباب على فكرة أن عنصر الشباب هو أكثر العناصر السكانية تهيوءاً للإستقطاب الأيديولوجي وذلك بسبب تداخل عوامل إجتماعية ونفسية وعلائقية متعددة ومختلفة .

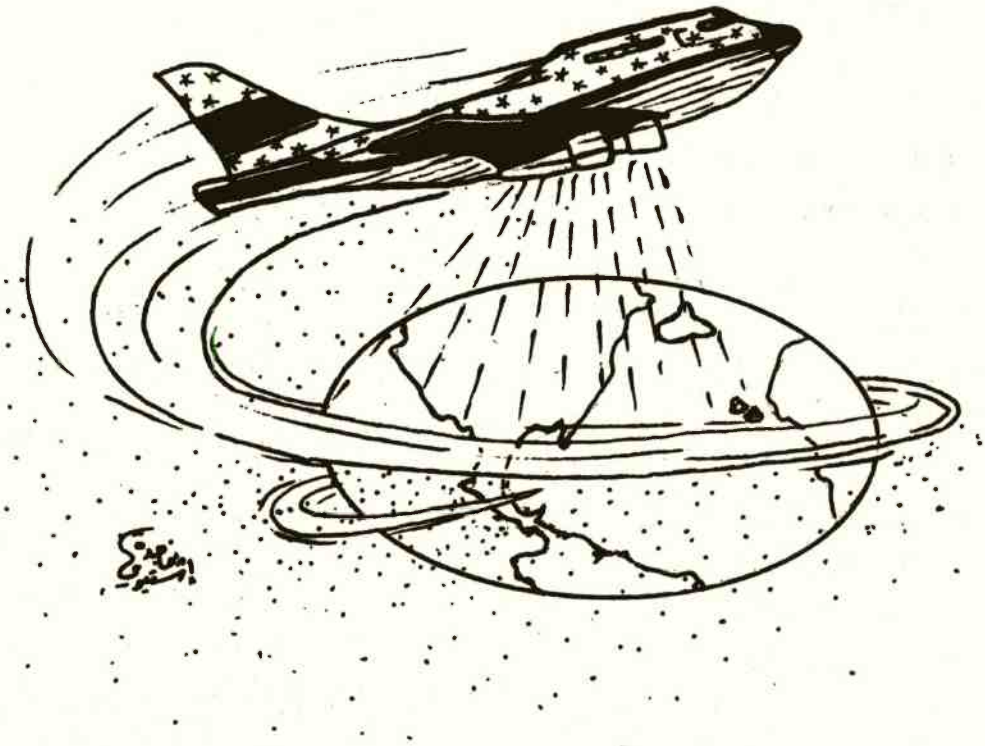

ثم أن السيطرة على أفكار الشباب وتوجهاتهم تعني السيطرة على حاضر المجتمع المستهدف ومستقبله ، وان التأثير الفكري والثقافي على الشباب – والذي يكون الاستقطاب الأيديولوجي أحد مظاهره – يقوم على عدة عوامل حددها (رايمون بودون في الآتي :-

1- الموقع والمكانة الاجتماعية لفئة الشباب .

2- التهيؤ والاستعداد النفسي .

3- مفهوم التواصل ، والمتمثل في الخطاب الأيديولوجي الموجه من طرف دولة أو جهة ثقافية فكرية إعلامية .

وهكذا فان من خصائص الغزو الفكري والثقافي للشباب كما يقول الأستاذ/ محمد سبيلا : ليس مسألة صدفة أو عفوية أو إغراء أو حتى اختيار فكرى حر، بل هو عملية تتضافر على إحداثها محددات وحتميات من مستويات مختلفة منها الحتميات الاجتماعية والنفسية والثقافية ومنها حتميات آليات الغزو والاستقطاب في المجتمع المعاصر .

في عملية الغزو الفكري والثقافي وماينتج عنها من استقطاب أيديولوجي يجد الشاب نفسه في مواجهة صراع بين قوتين : قوة التراث والأصالة التي هي آلية موضوعية ناتجة عن تواصل المجتمع وديمومته ، وقوة التجديد والحداثة التي تدعمها وتغذيها جهات متخصصة وتوظف فيها قيماً واتجاهات ومعتقدات ، جديدة لها سحرها وبريقها .

في إطار تحديد خصائص الغزو الفكري والثقافي للشباب يبرز التوظيف الهادف لخصائص مرحلة الشباب في عمر الإنسان ، وكما يشير (عزت حجازي) فان هذه المرحلة تفتقر إلى الإتزان والإستقرار ، حيث يطبعها نوع من التذبذب والاضطراب . وهي أيضاً تمثل المجال الذي تتداخل فيه المؤسسات الإجتماعية والثقافية والفكرية في علاقتها ، بجعل عنصر الشباب عنصراً فعالاً في إثراء الثقافة الوطنية ، والمحافظة عليها وعدم الإنسلاخ عنها .

في ظل علاقات التأثير على الشباب تبرز أهمية الشباب كجزء لا يتجزأ من مكونات الواقع الإجتماعي ، الذي يخضع لتأثير مايدور حوله من فعاليات ذات أبعاد حضارية وفكرية وإقتصادية وإجتماعية وسياسية وغيرها في ظل مجتمع يصفه (محمود قضام) بأنه يتميز بتعقد مكوناته الثقافية وتنوع مصادرها

الهجمات الغازية
السليبية

وتنوع وظائفه التخصصية التي تحتاج باستمرار إلى مزيد من المتطلبات التعليمية لمواكبة كل جديد وطارئ بفعل ظاهرة التفجر المعرفي وثورة اتصالات والمواصلات .

نحو تحديد عام لمشكلة الغزو الثقافي :-

يعد الغزو الفكري و الثقافي أحد أهم وأخطر الأشكال المتعددة لما تواجهه الأمة العربية من هجمات ، وما تصادفه من تحديات في تواجدها عبر الزمان والمكان . وإذا كانت الحروب الصليبية قد أنتهت في شكلها التقليدي ، فإن الهجمات الصليبية التبشيرية الغازية ، لازالت فاعلة ومتواصلة عبر أنواع من الغزو ومظاهر من الاستغلال الاقتصادي بكل مايعنيه من تبعية الوطن العربي للغرب اقتصادياً ، ومن الإستغلال السياسي والإعلامي والثقافي الذي يزيد من هيمنة الغرب وإعادة إنتاج التبعية والتخلف على مختلف المستويات .

لقد ارتبط الغزو الثقافي في مجموع فعالياته بتهميش الإنسان العربي ، واستغلال ثرواته ومقدراته وزعزعه ثقته في هويته وفي أصالته وفي فاعليته .

ويعد الغزو الفكري والثقافي الموجه ضد الشباب وغيرهم من أبناء المجتمع العربي من أخطر أنواع الغزو على الإطلاق ، لأن فيه اختراق للإنسان في معتقده وهويته .وإذا كانت مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية قد شهدت تحرر أقطار الوطن العربي من السيطرة الإستعمارية التقليدية عدا بعض أجزائه ، فإن هذا الإستقلال لم يقترن كما يرى "د/ مانكيكار " بالتحرر على الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي ، فظل الوطن العربي مجالاً واسعا لسيطرة أجنبية من نوع جديد ، ظهرت في أشكال إقتصادية وثقافية وتنموية وسياسية ضخمت المشاكل وجعلتها تنفجر في أشكال من العلاقات والممارسات التي تزيد من إنتاج التخلف وترسخ التبعية وفقدان الثقة في الذات .

ونشطت تبعاً لذلك الشركات المتعددة الجنسية ووكالات المخابرات ، ونَصَّبت العديد من الرموز البرجوازية الحاكمة ، ذات الولاء المطلق للغرب ، والتي ليس من صالحها تجاوز الأزمة وإستعادة الدور الرائد للأمة العربية ، كما تم بث وإنشاء العديد من ركائز الإختراق الثقافي للوطن العربي ، كالجامعة الأمريكية والنوادي الماسونية ، والمراكز الثقافية ، ومؤسسة فورد فاونديشن ، وهيئة المعونة الأمريكية ،

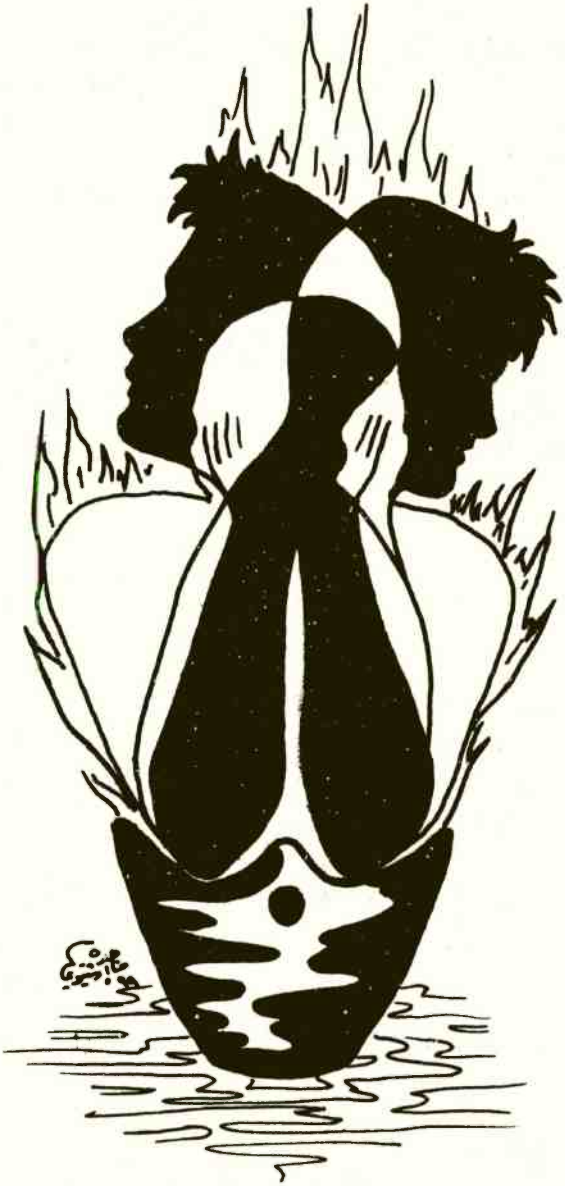

ومؤسسة روكفلر للأبحاث ، ومعهد دراسات الشرق الأوسط ، والأكاديمية الدولية لبحوث السلام ، ومركز الدراسات الإستراتيجية والدولية ، وغيرها كثير .

كما يواجه الوطن العربي عموماً ، والشباب العربي على وجه الخصوص هجمات ثقافية وفكرية تشنها الإذاعات الموجهة باللغة العربية من مختلف أنحاء العالم ، والتي بلغ مجموع ساعات بثها حتى عام 1987 ف أكثر من 1045 ساعة ، وأصبح الشباب العربي والوطن العربي على رأى الأستاذ / محمد المرسى (1971ف) محاصراً فكرياً وثقافياً وسياسياً بهذه الإذاعات .

وتتحكم الدول الغربية التي تتزعم الحرب الثقافية ضد الأمة العربية في صناعة وإعداد الأشرطة المرئية والمسموعة ، وبرامج الإذاعة ، بحيث نجد أن معظم البرامج المستوردة من قبل الدول العربية هي في معظمها من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها ، وعلى سبيل المثال تأتي أكثر من 50 ٪ من البرامج المستوردة في لبنان من الولايات المتحدة تليها فرنسا .

لقد تسببت التطورات المتسارعة في التقنية الإعلامية وتقنيات التواصل و مضامين الرسائل المبثوثة من خلالها ، في أحداث هزات في البُنى الفكرية والثقافية للشباب الفكرى ، وتعمقت تبعاً لذلك الهوة الثقافية بين الثقافة الأصلية والثقافة الوافدة أو الغازية ، وهذه الهوة كما يرى الأستاذ / السيد مرسى (55 – 41 : 1989) : << ليست تقنية فقط ، إذ أن تعابير من قبل عدم التكافؤ والتخلف الإعلامي والفجوة التكنولوجية ، هي تعبيرات ملطفة لوصف واقع وجود غزو إعلامي إمبريالي منسجم ويكمّل جوانب الغزو الأخرى >> .

لقد تنبهت أكثر من 50 دولة من دول عدم الإنحياز لخطورة ظاهرة الغزو الثقافي ، وعقدت عام 1976 إفرنجي في مدينة نيودلهى في الهند ، إجتماعاً لوزراء إعلامها لمناقشة هذه المشكلة ، التي بدأت تأخذ طابع الأزمة . وتم الإعلان في هذا الإجتماع عن الإستياء الشديد من شكل ومحتوى المادة الإعلامية التي تبثها دول العالم الصناعي للدول النامية ، وأشارت إلى أن ((*.. تدفق الأخبار والمواد الإعلامية الأخرى بالطريقة المعمول بها في وكالات الأنباء العالمية هو اتصال مفروض من جانب واحد ، وهو إتصال إعلامي يتميز بالتحيز وعدم التوازن ، ويسيء إلى صورة دول العالم الثالث ومصالحها ويسهم بصورة كبيرة في إختراقها فكرياً وثقافياً*)) .

لقد استشعر العرب هذا الخطر الفكري والثقافي الداهم الذي يتزايد شراسةً وتدميراً وفتكاً يوما بعد يوم ، وانعكس هذا الإستشعار على العديد من الجهود العربية ، من بينها صدور ميثاق استراتيجية العمل الاجتماعي العربي عام (1977 ف) عن مؤتمر وزراء الشؤون الإجتماعية العرب الذي عقد في مدينة الرباط بالمغرب ، وقد اعتبر الميثاق أن من أهم أبعاد إستراتيجية العمل الإجتماعي العربي المحافظة على الأصالة العربية وترسيخ الشخصية القومية ، لتواصل دورها الحضاري التاريخي .

كما عُقد في أوائل التمانينات المؤتمر العربي لمواجهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للأمة العربية ، وتقرر في هذا المؤتمر تأسيس مجلس قومي للثقافة العربية ، إضافة إلى العديد من الجهود الأخرى التي يضيق المقام لحصرها ، لكن الأمر ليس بهذه السهولة ولايمكن مواجهته فقط بهذه الكيفية ، ولكنه أمر غاية في الخطورة والتلوّن و التشعب والتداخل ، وفى التطور والتقدم التقني ، بحيث لايمكن الصمود فى وجهه والحد من تأثيره إلا بتطوير وسائل وتقديم معطيات تناسب حجم الخطر ، وتكون مناسبة للتصدى له . ولايسمح المقام هنا بتحليل هذه المعطيات والأبعاد وهو أمر يحتاج الى تظافر الجهود السياسية والعلمية والإقتصادية وغيرها .

الغزو الثقافي ومفهوم الهويّة :

يرتبط مفهوم الهوّية وبالتالي إدراك الذات ارتباطاً وثيقاً بمسألة الغزو الثقافي ، فالهوية المتواصلة المتعالية تكون في موقف الغازي المخترق للهويات الضعيفة المقهورة ، وهنا تقف الهويات في مواجهة حقيقية بين ما هو متمكن ومتطور وموضوع إعتزاز وفخر وبين ماهو متخلف أو مقهور .

إن هوية الإنسان المتخلف تشير إلى مظاهر من التخلف النفسي والتركيب الذهني والموقف الدونى المحتقر للذات ، وهى هوية يصفها د/ حجازي ((بأنها محكومة كلها بالأعتباط والقهر ، وما يولدانه من قلق جذري وإنعدام الشعور بالأمن والإحساس بالعجز أمام المصير)) .

ومن هنا فإن التتبع التحليلي لمفهوم الهوية يقود إلى جملة متراكمة من التحديدات ذات الدلالات المتجسدة عبر الزمان والمكان ... فالهوية كما يراها البيطار : (مفهوم ميتا فيزيقي يحدد شخصية الأمم والشعوب والثقافات المختلفة بجوهر أو تركيب نفسي وعقلي ثابت)) .

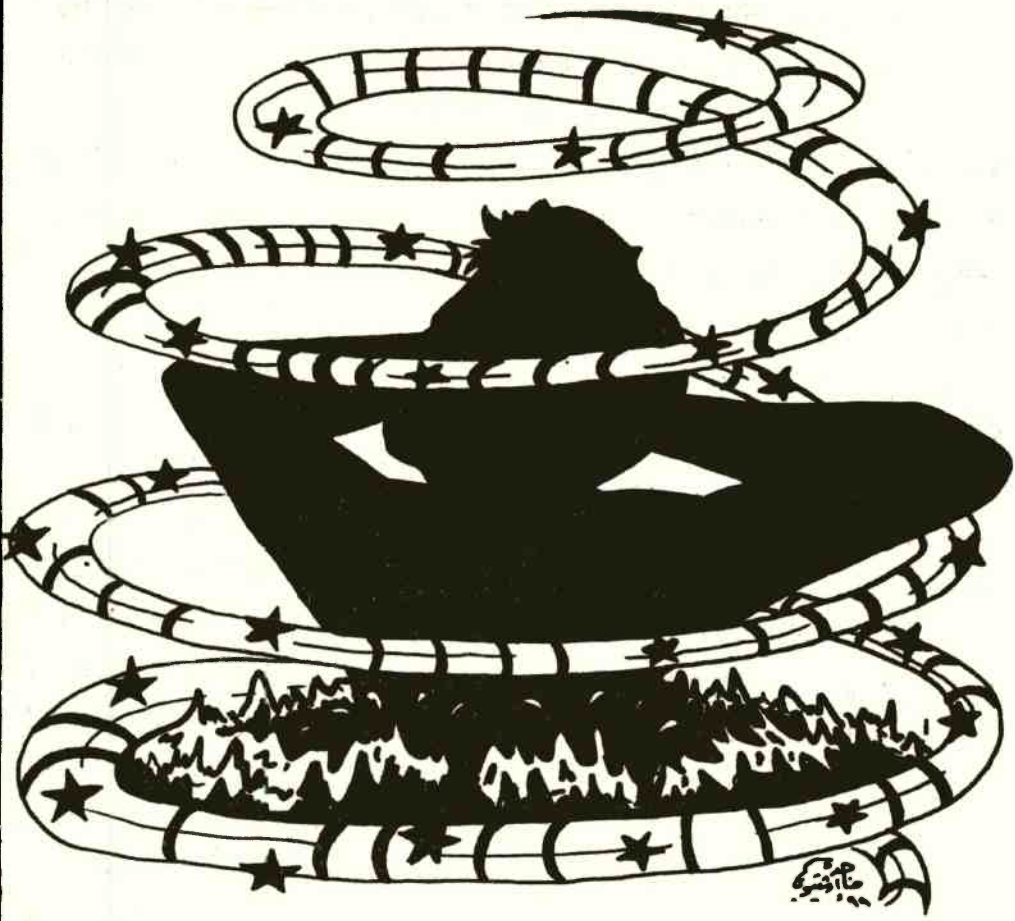

وهي في تعريف آخر تعنى طريقة مميزة في التفكير والإدراك والسلوك والمشاعر ، لها صفة السيادة والسيطرة على من تشملهم أو تخصهم .

كما وأن الهويّة في بُعدها القومي تعبير له دلالة عن مجموع الملامح والخصائص والقيم التي يدركها الأفراد بكيفية متميزة حول الحياة والعلاقات في مظاهرها المختلفة ، وحول أساليب مواجهة معطيات الحياة ومستجداتها ، ويشترك فيها الأفراد رغم وجود بعض الإختلافات غير الجوهرية .

وتبعاً لذلك تبرز الهوية الثقافية القومية في معترك تصارع الثقافات ، ومحاولة الغزو والإختراق ، وتبرز الهوية كنتاج لعوامل داخلية ترتبط بالخصوصية المحلية لقوم معينين ، وتتفاعل عبر الزمان وتنتقل من جيل الى جيل ، وكنتاج لعوامل خارجية تحدث نتيجة لإحتكاك وإتصال هوية قومية معينة (*العربية على سبيل المثال*) بهويات قومية أخرى ، وتتفاعل هذه العوامل لتؤدى إلى حدوث تعديلات وإستعارات وإمتصاص ثقافي .

وهكذا يأخذ مفهوم الهوية بشكل عام عدة أبعاد ومضامين ، فهو من جهة يضم كل مايميز جماعة أو قوم من خصائص تحدد ملامحهم وكيانهم وحقيقة وجودهم ، وهو من جهة أخرى يغطى تلك العلاقة الجدلية بين الذات في مقابل الغير، جدلية تربط الأنا باللا أنا على رأي (جون جوتلوب فيخته) ، بحيث تضع الأنا أو الذات في الغير أو اللا أنا مجموعة من المدركات ، بمعنى أن للهوية ثلاثة أنواع من الإدراك ، الأول الإدراك كما يحس به ويستشعره أصحابه والثاني كما يحس به ويستشعره الآخرون ، والثالث الهوية المثالية أو الهوية التي ينبغي أن تكون وفي كل هذه المدركات يمكننا تتبع جوانب مختلفة للغزو الفكري والثقافي والذي يتم من خلاله تصنيف الهويات على أساس التفوق والدونية ، وهو مايعطي للمتفوق دريعة إختراق وتدمير الهويات الدونية إنطلاقا من مبدأ البقاء للأصلح أو للأقوى . ورغم مايوجه لهذا المبدأ من نقد وتهافت فإن العديد من المفكرين والمصلحين العرب قد تبنوا هذا التوجه ودعوا إلى ضرورة الأخذ بالحداثة لمواجهة تحديات العصر دون الإنسلاخ عن الخصوصية الثقافية.

في ظل كل ذلك نجد مفهوم الهوية العربية مفهّوما يتصف بالتواصل والتجذر رغم ما واجهه ويواجهه من مظاهر الغزو الفكري والثقافي ، وما تعرض له من تحديات ، ويعتبر مفهوم الهوية العربية مفهوم في محك ، طالما ارتبط الأمر بإصدار أحكام قيمية تتصل بجدارة هذه الأمة وفاعليتها على ساحة الأحداث المحلية والعالمية ، ومصداقية وجودها وخصب تراثها وقدرتها علي تأكيد ذاتها كأمة مبدعة أسهمت وتسهم

في صنع الحضارة وتطور البشرية . إن الهوّية العربية لايمكن لها مواجهة هجمات الغزو الثقافي ما لم تقم بتجاوز محنة التجزئة ، وما لم تجمع مواردها وكفاءاتها وخبراتها لتكون سداً منيعاً في وجه حملات الاختراق الثقافي ، وعلى رأي الأستاذ / قاسم العتمه في تناوله لمسألة الأمن القومي العربي ، فإن الدول الصغيرة والكيانات القزمية حتى عندما يكون لها جذور في التاريخ ، تصبح قاصرة عن مجاراة الحياة الحديثة وغير مؤهلة لتوفية شروطها ، فكيف بها كما هو حال بعض الكيانات العربية المصطنعة والمخالفة لوقائع الأرض والتاريخ والاجتماع .

وطالما كان طابع حاضر الأمة العربية كهوّية متميزة موزعاً بين إدراك كل عربي لذاته من خلال انتماءاته القومية ومن خلال واقع التجزئة والتشردم ، كما يبدو على الساحة الجيو سياسية ، فإن هذه الأمة ستكون مهددة في هويتها كقومية لها خصوصيتها الثقافية .

ويتخذ مفهوم الهوية العربية في إطار منظومة الصراع الحضاري والغزو الثقافي وكما هو مُعاش عدة مسارات منها :-

أ) المسار الأول ويرتبط بعراقة هذه الأمة وأصالتها ودورها الرائد في التاريخ والحضارة الإنسانية . وهذا المسار هو من المسارات المدركة معنوياً ، والمتجسدة مادياً وفكرياً فيما تركه العرب من آثار وشواهد في مجالات العلم والتشييد والبناء ، وفي مجال الفنون والآداب والفكر والفلسفة والمنطق ، وما حققوه من إنتشار جغرافي واسع شمل معظم قارات العالم المعروفة انذاك .

ب) أما المسار الثاني لمفهوم الهوّية العربية فهو مسار يعكس التجزئة والضعف والتخلف ، وسايرتبط بذلك من فقدان جزئي أو كلي للثقة في النفس والشعور بالعجز والدونية . كما أنه يتمحور حول ما يوجه لثقافة هذه الأمة وهويتها من أساليب الاختراق الثقافي لتعميق مفهوم الدونية وترسيخ التجزئة والتشردم ، وتأكيد هامشية هذه الأمة وثقافتها ، بل وحتى القضاء عليها إذا ظلت في مثل هذا الموقف الضعيف . وتبدو في هذا المسار الهوّية العربية وخصائصها الثقافية كهوّية مهددة ومغزوة ومخترقة .

نحو مقاربة أسباب المشكلة :-

ليس من اليسير تحديد الأسباب أو العوامل المسؤولة عن تعرض الثقافة العربية لمظاهر شتى من الغزو الثقافي والفكري . ويمكن الإشارة إلى جملة من العوامل المتفاعلة التي أدت وتؤدى إلى نجاح حملات الغزو الفكري و الثقافي والتي منها :-

1) الحقد الصليبي على الأمة العربية والإسلام.

2) حالة الضعف والتفكك التي يعاني منها الوطن العربي .

3) التخلف الإقتصادي والإجتماعي والتقني .

4) الطمع في موارد ومقدرات الأمة العربية .

5) تخلف البرامج الثقافة عن مسايرة العصر وعدم تبنى برنامج عربي موحد لمواجهة الهجمة الثقافية ضد ثقافة الأمة العربية .

6) الانبهار العربي بالحضارة الغربية .

7) عصور الإستعمار المتعاقبة والتبعية السياسية والإقتصادية .

8) التفوق الغربي تقنيا وإعلامياً وغيرها .

هذه إذاً بعض العوامل والمسببات التي قد تكون مسؤولة بدرجة أو بأخرى عن ماتعانيه الأمة العربية من ويلات الغزو الفكري والثقافي . وهي عوامل عامة تندرج تحتها مجموعة من العوامل الفرعية لايتسع المقام للتوسع في تناولها .

كل هذه العوامل وسواها قد أنتجت وتنتج نموذجاً ثقافياً إستلابيا تهميشياً يترعرع وينمو في العقل الواعي واللاواعي للإنسان العربي ، وقد تبدو تجسداته في التسليم الواهم بأن النموذج الغربي هو النموذج المناسب للنهوض والتقدم ، وهذا قد بدأ يؤتي مفعوله بين الشباب في تشكيل هوية بعضهم ، لتكون هوية منسلخة ومستلبة، لتستجيب لكل تكييف يوجه اليها .

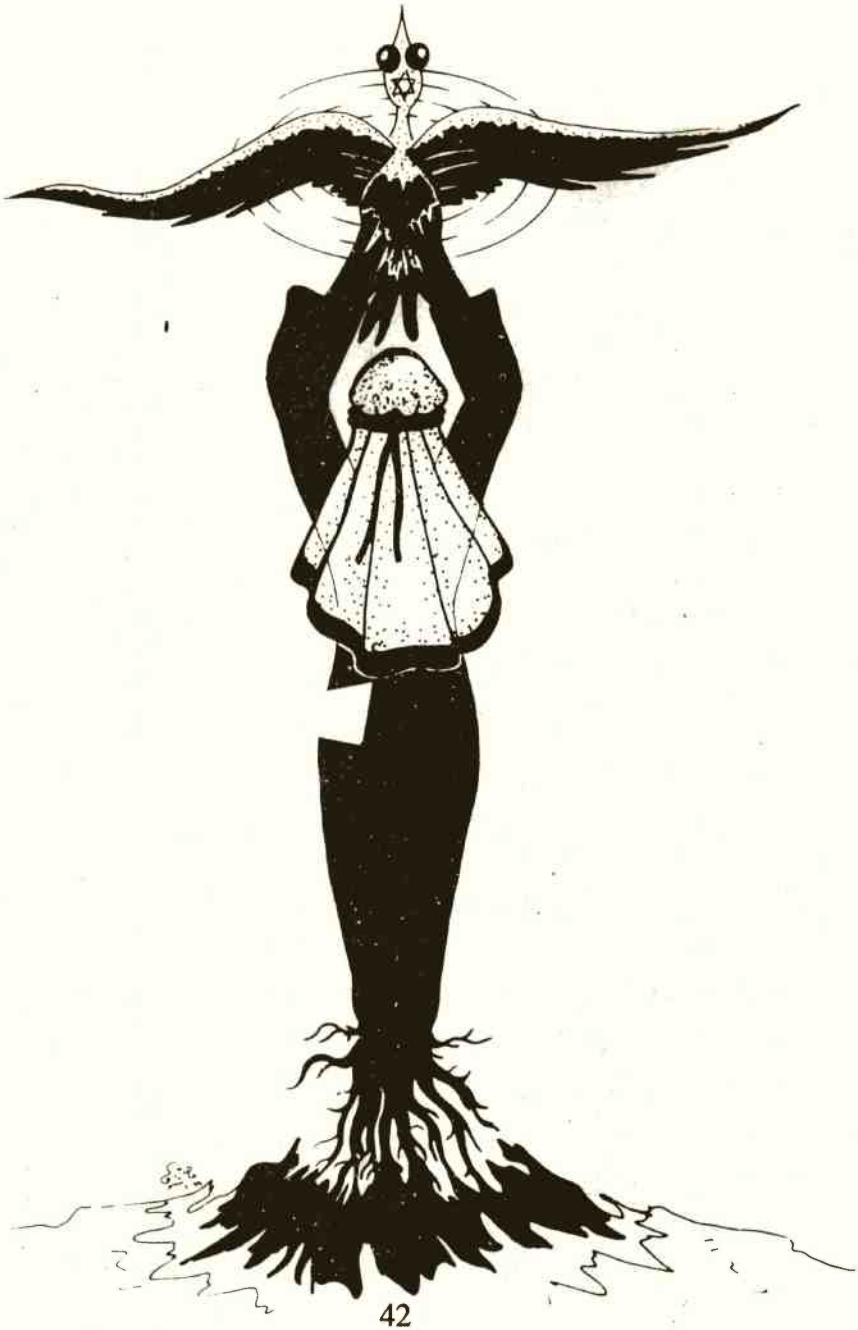

وهنا يمكن القول أن الوضعية المأزقية لثقافة التشردم والتبعية ولإنبهار بالغرب قد أنتجت مشكلتين رئيسيتين :-

- الأولى مشكلة الشعور بالنقص والغلبة والدونية ، وقد نتج عنها مسلكيات يمكن وصفها بمسلكيات المغلوب في مواجهة الغالب ، أو هي مسلكيات الإنسان المقهور كما وصفها د/ مصطفى حجازي ، فلا عجب أن نجد الشباب العربي وقد سار في طريق الغرب يقلدهم في سلوكياتهم وتسريح شعورهم وارتداء ملابسهم والإعجاب بموسيقاهم وفنونهم نابذاً كل مايربطه بأمته ويشده الى أصوله .
- والمشكلة الثانية تتمثل في الشعور بالتفوق الغربي مادياً ومعنوياً ، وقد ترتب على ذلك تداعيات عدة منها فقدان الثقة في معظم ما هو عربي ، في مقابل الثقة غير المحدودة في الغرب وإنتاجهم المادي والفكري . وهنا تبرز أنواع من التبعية الثقافية وكما يقول د/ مسعود ضاهر (30 : 1989) : << وقع العرب في دائرة الخطر الشديد الذي بات يهدد ، ليس ثقافتهم وتراثهم وحضارتهم ولغتهم فحسب بل أيضاً سيادتهم الوطنية ، واستقلالهم السياسي ، ووحدتهم القومية >> .

إن ما أنتجه الغزو الثقافي من تبعية ثقافية لايقل خطورة عن تلك التبعية في المجال السياسي والاقتصادي والإعلامي والتعليمي والتقني وذلك لأن التبعية رغم تنوع مجالاتها فهي تمثل شيئاً واحداً من حيث مستهدفاتها ونتاجاتها .

نتاجات الغزو الثقافي :

تتعدد نتاجات الغزو الفكري والثقافي لتشمل جميع جوانب الثقافة من حيث هي نمط معيشة الناس ، ومن كونها تعبيراً عن القيم والتقاليد والأعراف والفنون والآداب والعلوم وكل ما صنعته يد الإنسان وعقله باعتباره عضواً في جماعة أو مجتمع ولقد برزت نتاجات الإختراق الثقافي للوطن العربي في أشكال سلوكيات وممارسات تؤكد الدونية والهامشية والإستهلاكية والتبعية والاستلاب الثقافي وتشويه الشخصية العربية ، وكما يشير أحد الباحثين فإن الغزو الثقافي وبالتالي التبعية الثقافية قد أنجزت الكثير من أهدافها في الوطن العربي ، فقد شوهت صورة الإنسان العربي وروجت عنه فكرة نمطية تتصف بالسلبية والتخلف والإتكالية واللاعقلانية ، إضافة الى إنجاز مظاهر كثيرة من الإغتراب اللغوي والفكري والثقافي وما يتبع ذلك من هجرة العقول العربية إلى خارج الوطن العربي ، وطمس ملامح ومعالم الحضارة العربية العريقة .

ويضيق المقام هنا للإشارة إلى كل مظاهر ونتاجات الغزو الفكري والثقافي وإن ماذكر عاليه يعد مجرد أمثلة لاحصر ، وقد يكون منطلقا لحوار ونقاش هادف وبناء .

خاتمـــــــــة

خلاصة القول إن الأمة العربية كأمة لها خصوصيتها الثقافية ودورها الحضاري الرائد وإمكاناتها التراثية الهائلة ، تواجه الآن في ظل التمزق والتشردم مشكلة شائكة وعويصة ومعقدة ، تهدد كيانها وتستهدف هويتها وتعبث بثقافتها ، ولايمكن عند مقاربة هذه المشكلة أن نلقي باللائمة على الغرب وحده ولا أن نلجأ الى مشجب الإستعمار ، بل لأبد بادي ذي بدء من الإعتراف بالمسؤولية الذاتية وبأن الحل لا يكون حلا قطريا منفرداً ، ولكنه حل عربي قومي ينطلق من إرادة عربية تدرك خطورة الموقف ، وما يتطلبه من إمكانيات وموارد يجب أن توظف لتلافي مستقبل أكثر ضبابية وتلاشيا يواجه شبابنا وبالتالي أمتنا .

وأخيراً ماكان لهذا الكتاب أن يدعي لنفسه تناول هذا الموضوع بكافة جوانبه وأبعاده فهو لا يعدو كونه مقاربة أولية لموضوع متشعب وخطير .

د . عبد السلام بشير الدويبي
عضو هيئة التدريس بجامعة الفاتح
وعضو اللجنة العليا لرعاية الطفولة

قائمة المراجع

1) عبد السلام الدويبي وآخرون : الغزو الفكري والثقافي ، منشورات إدارة العلاقات والتعاون باللجنة الشعبية العامة للعدل والأمن العام ، طرابلس 1991.

2) عبد السلام الدويبي وآخرون : التغلغل الأجنبي في الوطن العربي ، منشورات إدارة العلاقات والتعاون باللجنة الشعبية العامة للعدل والأمن العام ، طرابلس 1992.

3) عبد السلام الدويبي : الآثار السلبية للتكنولوجيا الوافدة ، ورقة بحث أعدت لندوة جمعية المهندسين حول نقل التكنولوجيا ، طرابلس 1996 .

4) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : الإعلام العربي حاضراً ومستقبلاً، تونس 1987 .

5) مسعود ظاهر: مجابهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للمشرق العربي ، المكتب القومي للثقافة العربية ، تونس 1983.

6) د. وانكيكار : التدفق الحر من جانب واحد : استعمار جديد عن طريق وسائل الإعلام .

ترجمة فائق فهيم .. مطابع الثورة العربية للطباعة والنشر بنغازي - بدون تاريخ

7) زهير مطر: الطفرة والشباب ، معهد الإنماء العربي بيروت لبنان 1980 .

8) مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي : مدخل الى سيكولوجية الإنسان المقهور ، معهد الانماء العربي ، بيروت لبنان 1976 .

9) محمد سبيلا : الشباب والإيديولوجيات ، مجلة الوحدة العدد 39 الكانون 1987 .

10) عزت حجازي : الشباب العربي ومشكلاتهم ، عالم المعرفة، الكويت .

11) محمود قطام : الصراع القيمي لدى الشباب العربي ، مجلة الوحدة ، العدد 39 الكانون 1987 .

الشركة العامة للورق والطباعة
مطابع عصر الجماهير الخمس